دراسة مبادئ النظام التعليمي للمدرسة العلمية عند الإمام الصادق عليه السلام

الأستاذ الدكتور
محمد علي چلونگر
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة أصفهان ـ كلية الآداب
chelongar@yahoo.com

الملخص:

إنّ الإمام الصادق عليه السلام في فترة إمامته انتهز الظروف السائدة في المجتمع لبناء وتخطيط نظام تعليمي في مدرسته العلمية العملاقة وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية والعلوية الشريفة. تسعى هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية: هل قام الإمام الصادق عليه السلام بتوظيف أصول ومبادئ ومنهج خاصّ في مجال تعليم الأفكار والعلوم والمعارف الدينية والإنسانية؟ ما هي أهم ميزات نظامه التعليمي؟ من هذا المنطلق، تستهدف هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم ميزات هذه النظام التعليمي وسماته. وممّا توصلت إليه أنّ النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام كان يتمحور على التركيز بالبحث، والتقييم، والتلاؤم بين الفحوى التعليمي والمستوى العلمي للتلاميذ، والاهتمام بتربية المتخصصين والخبراء، وتجسيد التعاليم والمفاهيم العلمية، والشمولية القومية والدينية، والاهتمام بالتطبيق العملي، وتوظيف لغة الحثّ.

الكلمات المفتاحية: الإمام الصادق عليه السلام، المدرسة العلمية، النظام التعليمي، السيرة التربوية.

١ـ المقدّمة

مما لا يخامرنا الشك أنّ الإمام الصادق عليه السلام الإمام السادس للشيعة ورئيس مذهب الإمامية قد ساهم إسهاماً بارزاً في تاريخ التشيع ولعب دوراً مهماً في انتشار الثقافة الإسلامية وخلّف ثروة علمية كبيرةً وتراثا ثميناً من التعاليم القيمة في المجالات المختلفة للمعارف والعلوم الدينية والإنسانية وخرّج عدداً كثيرا من رجال العلم. بذلك نرى بوضوح أنّ قسماً كبيراً من مواقف الشيعة من المذاهب الأخرى وكذلك وجوه التباين بينهم وبين

الفرق الأخرى قد بنيت على تعاليم الإمام عليه السلام.

كما نعلم أنّ الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الإسلامي في عصر الإمام الصادق عليه السلام تعرّضت لتطورات وتغيرات عديدة. فالفترة التي كان يعيشها الإمام الصادق عليه السلام كانت فترة الشيخوخة الأموية والطفولة العباسية مما هيّأ فرصة ذهبية استغلّها الإمام عليه السلام لانتشار وإشاعة العلوم والمعارف الدينية والتعاليم النبوية وكذلك بناء نظام تعليمي حديث في المجتمع الإسلامي آنذاك. ومما لا مراء فيه أن الإمام الصادق عليه السلام تمكن أن يقوم بتعليم و إشاعة تعاليم القرآن والسنّة وأن يقدّمنا نظاماً تعليميا وتربوياً متكاملاً سطع نوره حتى شغل العيون عن غيره.

فقد وظّف الإمام الصادق عليه السلام مناهج تعليمية خاصة في نظامه التعليمي مما استقاها من القرآن الكريم والسنة النبوية. فالمناهج والمبادئ التعليمية التي استخدمها الإمام في هذا المجال أثّرت تأثيرا بالغاً في المخاطب علميا ونفسيا، ومرجع ذلك أنّ هذه المناهج والمبادئ التعليمية كانت ناتجة عن معرفة الإمام عليه السلام الحقيقية بالإنسان والعلاقات البشرية.

تهدف هذه المقالة أن تتعرض لميزات النظام التعليمي للمدرسة العلمية العملاقة للإمام الصادق عليه السلام بالنقد والدراسة وتحاول أن تسعى الإجابة عن السؤال التالي: ما هي الميزات المهمة للنظام التعليمي للإمام الصادق عليه السلام؟

٢ـ ميزات النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام.

٢ـ١ـ التركيز على البحث

إنّ للبحث مكانة عالية في النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام. فالإمام عليه السلام كان يهتمّ بتنمية الطلاب الراغبين في العلم اهتماماً كثيراً وكان يشجّعهم دوماً على البحث والدراسة. ومن الملاحظ أنّ منهج البحث الذي يشتمل اليوم على بيان المسألة وتقديم الفرضية واختبار الفرضية والاستنتاج، كان يلعب دورا بارزاً في النظام التعليمي للإمام الصادق عليه السلام.

فما نسمّيه الاجتهاد وقام الإمام الصادق عليه السلام بتأصيله في الفقه الشيعي، ينطبق كلّ انطباق على التعليم المبنيّ على البحث. فكان الإمام الصادق عليه السلام يوصي تلاميذه أن يلجأوا

بالاجتهاد في غيبة الإمام المعصوم وأن ينقلوا نتائج اجتهادهم إلى الآخرين. وبعبارة أدقّ، أن الإمام الصادق عليه السلام لم يهيئ فرصة البحث لتلاميذه فحسب، وإنما ألزمهم بالبحث والدراسة (جان احمدي ونيك آفرين آلائق، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٤٢).

فمثلا حين عثر عبد الأعلى مولى آل سام فانقطع ظفره فجعل على إصبعه مرارة، ما كان يعلم كيف يصنع بالوضوء، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عز وجل؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، امسح عليه (الطوسي، ١٣٦٥ هـ.ش، ج ١، ص ٣٦٣؛ الطوسي، ١٣٩٠ ه.ق، ج ١، ص ٧٧). نفهم من هذه الرواية أن الإمام الصادق عليه السلام حاول أن يعلّم عبد الأعلى منهج البحث، وذلك عن طريق تبيين قاعدة "لا حرج" وتعليمها. وبالأحرى، أنّ الإمام عليه السلام أوصى عبد الأعلى أن يرجع إلى الآيات القرآنية الكريمة وأن يستخرج بالبحث والدراسة القواعد والأصول الفقهية منها (جان احمدي ونيك آفرين آلائق، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٤٣).

٢-٢. أصل التقييم

يعتبر أصل تقييم التلاميذ من أهمّ أصول ومبادئ المدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام. وأهمية التقييم في كلّ عمل تعود إلى معرفة مستوى كفاءات الإنسان وقدراته في ذلك العمل. فهذه المعرفة في مجال النظام التعليمي تساعد الأستاذ والطالب على التخطيط في المستقبل. فالإمام الصادق عليه السلام كان يقوم في بعض الأحيان بتقييم تلاميذه إما في حين التعليم وإما في نهايته، مما أدى إلى تشجيع تلاميذه على القراءة والتعلم واستعدادهم للاختبار في كل زمن (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ص ٧٣).

فقد روي عن قيام الإمام عليه السلام بتقييم تلاميذه بعد التعليم: ((انّه قال لبعض تلاميذه يوماً: أيّ شيء تعلّمت منّي؟ قال له: يا مولاي ثمان مسائل، قال له عليه السلام: قصها عليّ لأعرفها، قال: الأُولى رأيت كلّ محبوب يفارق محبوبه عند الموت، فصرفت همّي إلى ما لا يفارقني بل يؤنسني في وحدتي وهو فعل الخير، قال: أحسنت والله...)) (ورام، ١٣٦٨ هـ.ش، ج ١، ص ٣١١).

زد على ذلك، أن في مجال تقييم الإمام الصادق عليه السلام لتلاميذه في التعليم، يمكن أن نشير إلى سؤال الإمام عليه السلام عن المفضل بن عمرو. فقال الإمام له يوما: ((يا مفضل! وما علّمك

بأن الظالم لا ينال عهد الإمامة؟ قال المفضّل: يا مولاي! لا تمتحنّي بما لا طاقة لي به ولا تختبرني ولا تبتلني، فمن علّمكم علمت ومن فضل الله عليكم أخذت)) (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج ٥٣، ص ٢٥). ففي هذه الرواية، نرى أن الإمام الصادق عليه السلام كان يريد أن يمتحن المفضل، ففي النهاية اعترف المفضل مخاطبا الإمام عليه السلام أن ما علمتني تعلمت ولا غير.

٢-٣- التلاؤم بين الفحوى التعليمي والمستوى العلمي للتلاميذ

ومن المبادئ المهمة في النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام هو التلاؤم بين الفحوى التعليمي وظروف المتعلم وقدراته وإمكاناته مثل حاجاته، وزمان التعلم ومكانه ومنهج التعليم وما شاكل ذلك، وآية ذلك أنّ هذا الأمر يؤثر تأثيراً بالغا في كيفية التعليم (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ج ٤، ص ٦١).

ففي كتاب رجال الكشي روي عن ميمون بن عبد الله: ((أتى قوم أبا عبدالله عليه السلام يسألونه الحديث. من الأمصار وأنا عنده، فقال لي: أتعرف أحدا من القوم؟ قلت لا، فقال: فكيف دخلوا علي؟ قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كل وجه لا يبالون ممن أخذوا الحديث! فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري من الحديث؟ قال نعم، قال: فحدثني ببعض ما سمعت، قال إنما جئت لأسمع منك لم أجئ احدثك)) (الطوسي، ١٣٤٨ هـ.ش، ج ٥، ص ٣٩٣).

وفي نهاية المطاف، أجبرهم الإمام عليه السلام على أن يقولوا له مجدداً بعض ما قد كانوا سمعوه. ولكن حين علم الإمام عليه السلام أنهم يروون الحديث عن كل شخص ولا يبالون بصحة الروايات وسقمها، فرواهم حديثا متناسبا لوضعهم، فقال: ((اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم حدثني أبي عن جدي، قال: ما اسمك؟ قال ما تسأل عن اسمي؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم اسكنها الهواء فما تعارف منها ثمة ائتلف ههنا وما تناكر منها ثم اختلف ههنا، ومن كذب علينا أهل البيت حشره الله يوم القيامة أعمى يهوديا، وان ادرك الدجال آمن به وإن لم يدركه آمن به في قبره)) (المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٩٧ - ٣٩٦).

فلرعاية التلاؤم بين الفحوى التعليمي وظروف المخاطبين، نرى أن الإمام الصادق عليه السلام سأل عن ظروفهم التعليمية والنفسية قبل كلّ شيء ثم تحدث معهم وفقاً لإمكاناتهم

وظروفهم. فهذا يدلّ كلّ الدلالة على أن الإمام عليه السلام كان يحرص على رعاية التناسب بين ظروف المتعلم والفحوى التعليمي.

مضافاً إلى ذلك، أن الإمام عليه السلام كان يحاول أن يقدّم تعاليمه حين كان يريد الصحابة أن يبدأوا عملاً ما أو كان يرتكبون الخطأ حين القيام بالعمل. ففي هذه الظروف، كان يقوم الإمام عليه السلام بتقديم الفحوى التعليمي المتلائم مع ذلك العمل (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ج ٤، ص ٦٣).

فعلى سبيل المثال، يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فابلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه)) (العروس الحويزي، ١٣٧٠ هـ.ش، ج ٢، ص ١٨٧).

٢-٤- الاهتمام بتربية المتخصّصين والخبراء

من الميزات المهمة للنظام التعليمي للإمام الصادق عليه السلام هو الاهتمام بتربية المتخصصين والخبراء. فكان الإمام عليه السلام يعنى بتربية المتخصصين عناية فائقة وكان يسعى أن يربّي تلاميذه في أصناف كثيرةٍ من العلوم. بذلك نواجه في المدرسة العلمية للإمام عليه السلام جماً غفيراً من العلماء والمتخصصين الذين كانوا قد تخرجوا على يده عليه السلام في العلوم المختلفة. ومن اللافت أن الإمام عليه السلام كان يرجع الناس أيضا إلى المناظرة معهم وفقاً للخبرتهم وتخصّصهم. ومنهم يمكن أن نشير إلى ما يلي:

١- حمران بن أعين الشيباني في القرآن والأدب؛

٢- أبان بن تغلب في العلوم العربية والأدبية. فمثلاً حين أراد رجل شامي أن يناظر الإمام عليه السلام في العربية، ألفت الإمام نظره إلى أبان بن تغلب؛

٣- زرارة بن أعين في الفقه. فقال الشامي للإمام عليه السلام: أريد أن أناظرك في الفقه فقال الإمام عليه السلام: يا زرارة ناظره، فناظر حتى غلبه؛

٤- مؤمن الطاق في علم الكلام؛

٥- حمزة بن محمد في مجال مقدرة الإنسان على أعماله؛

٦- هشام بن الحكم في الإمامة، فحين قال الشامي للإمام عليه السلام: أريد أن أناظرك في الإمامة، تلفّت الإمام عليه السلام إلى هشام وقال له: ناظره (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج ٤٧، ص ٤٠٧؛ صدوق، ١٤١٣ هـ.ق، ج ٢، ص ٦١١).

في الحقيقة أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان واقفاً على أنّ خصخصة التعليم تؤثّر تأثيراً بالغاً في تحسين جودة التعليم وتؤدّي إلى الإبداع في الأصناف المختلفة للعلوم.

ومما لا شكّ فيه أنّ هذه الميزة تتأصل في الصفتين الحميدتين اللتين كان يتحلّى بهما الإمام الصادق عليه السلام: الأول مقدرته الإدارية، فتمكن الإمام عليه السلام أن يبني مدرسة حسب القابليات العظيمة والاستعدادات الكثيرة في الفروع المختلفة العلمية؛ والثاني الكفاءة العلمية للإمام عليه السلام الذي كان خبيراً بالمعنى الدقيق للكلمة في العلوم الشتى (جان احمدي ونيك آفرين، ١٣٩١ ه.ش، ص ٤٠).

٢-٥- تجسيد التعاليم والمفاهيم

ومن مبادئ النظام التعليمي للإمام الصادق عليه السلام هو تجسيد التعاليم والمفاهيم وخاصة التعاليم النظرية والذهنية. فعادة يرغب الناس في التعلم عن طريق حواسهم، بذلك إن تمّ التعليم عن طريق الحواس فتتيسر عملية التعليم والتعلم (داوودي و حسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ج ٤، ص ٦٩).

فكان الإمام الصادق عليه السلام واقفا على هذا الامر، بذلك كان يحاول كلّ المحاولة أن ينقل تعاليمه إلى تلاميذه في صورة المحسوسات. يقول سماعة:

سأل رجل أبا حنيفة [عن الشيء و] عن اللاشيء و عن الّذي لا يقبل اللّه غيره [فأخبره عن الشيء] و عجز عن لا شيء؛ فقال: اذهب بهذه البغلة إلى إمام الرافضة، فبعها منه بلا شيء واقبض الثمن؛ فأخذ بعذارها و أتى بها أبا عبد اللّه عليه السلام، فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام: استأمر أبا حنيفة في بيع هذه البغلة. قال: قد أمرني ببيعها. قال: بكم؟ قال: بلا شيء.

قال له: ما تقول؟! قال: الحقّ أقول. فقال: قد اشتريتها منك بلا شيء. قال: و أمر غلامه أن يدخله المربط. قال: فبقي محمّد بن الحسن ساعة ينتظر الثمن، فلمّا أبطأه الثمن، قال: جعلت فداك الثمن؟ قال: الميعاد إذا كان الغداة، فرجع إلى أبي حنيفة فأخبره، فسرّ بذلك فرضيه منه. فلمّا كان من الغد، وافى أبو حنيفة، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: جئت لتقبض ثمن البغلة لا شيء؟ قال: نعم، و لا شيء ثمنها؟ قال: نعم. فركب أبو عبد اللّه عليه السلام البغلة، و ركب أبو حنيفة بعض الدوابّ، فتصحّرا جميعا؛ فلمّا ارتفع النهار نظر أبو عبد اللّه عليه السلام إلى السراب يجري قد ارتفع كأنّه الماء الجاري؛ فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: يا أبا حنيفة! ما ذا عند الميل كأنّه يجري؟ قال: ذاك الماء يا ابن رسول اللّه. فلمّا وافيا الميل وجداه أمامهما فتباعد. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: اقبض ثمن البغل، قال اللّه تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج ٤٧، ص ٢٣٩).

كما نرى أن الإمام الصادق عليه السلام في نظامه التعليمي قد لجأ إلى المحسوسات لتبيين ما لا وجود له في العالم. فممّا لا مراء فيه، أنّ توظيف المحسوسات في تجسيد غير المحسوسات وتمثيلها أثناء عملية التدريس يساعد المدرّس في تثبيت الفحوى التعليمي لدى المتعلمين (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ج ٤، ص ٧٠).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه ايتوني بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا به بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب)) (كليني، بلا تا، ج٢، ص٢٨٨).

نفهم من هذه الرواية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حاول أن يري الصحابة أن الإكثار من المحقرات عن الذنوب وصغائرها سيؤدي إلى اجتماع الذنوب. فلتجسيد هذه الحقيقة لهم، أمرهم أن يجمعوا الحطب في أرض قاحلة.

٢-٦- الشمولية القومية والدينية

ومن اللافت للنظر أنّ النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام كان يتّسم بالشمولية القومية والدينية، فكان ينبوعا يجود على الناس جميعا دون أي تمييز بينهم، حيث

يمكننا أن نعتبر المدرسة العلمية للإمام عليه السلام جامعة دولية كان يتسابق طلاب العلم إلى الحضور في درسه والاستماع إليه بغضّ النظر عن جنسيتهم ولغتهم وآرائهم وأفكارهم (جان احمدي ونيك آفرين، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٣٨). ففي هذا المجال، حذا الإمام الصادق عليه السلام حذو جده رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج ٢، ص ١٠٥).

ففي المدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام كان يحضر التلاميذ من مختلف أنحاء العالم نحو الحجاز، والعراق، وإيران، ومصر، والشام، ولبنان وغيرها، مما يدلّ كل الدلالة على ذيوع صيت هذا النظام التعليمي في العالم الإسلامي. زد على ذلك، كان يحضر في مدرسته العلمية العلماء والمفكرون على اختلاف آرائهم ومعتقداتهم. فشيوخ المعتزلة في علم الكلام وعلماء السنة مثل مالك بن أنس وأبو حنيفة في علم الفقه حتى الزنادقة والهراطقة والملحدون كانوا يأتونه ثم كانت تجري المناظرات والمحاججات العلمية العديدة بينهم، مما ينمّ بكل وضوح عن سعة أفق الإمام عليه السلام وإصراره على إقامة كراسي حرية التفكير (جان احمدي ونيك آفرين، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٣٩).

فهذا العمل الفريد للإمام عليه السلام في بناء وتخطيط نظام تعليمي شمولي إنساني أفضى إلى تربية علماء كبار كانوا من مؤسسي العلوم والفنون المختلفة في الأغلب ولعبوا دورا بنّاء في حيوية الثقافة والحضارة الإسلامية (المصدر نفسه، ص٤٠). فمثلا جابر بن حيان أبو علم الكيمياء كان يعدّ نفسه من تلاميذ الإمام عليه السلام ونقل عنه روايات كثيرة في عدة أماكن مختلفة (جابر بن حيان، ١٤٢٧ هـ.ق، ص ٥٧١). مضافا إلى ذلك، أن كثيرا من علماء وكبار السنة يعتبرون من الذين استفادوا من المدرسة العلمية للإمام عليه السلام، ومنهم: مالك بن أنس، وأبو حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسفيان الثوري، وابن عينية، وأبو عمرو بن العلاء، وعمرو بن دينار.

٢-٧- الاهتمام بالتطبيق العملي

ومن السمات المهمة للنظام التعليمي للإمام الصادق عليه السلام هو الاهتمام بالتطبيق العملي. فكان الإمام عليه السلام يحرص على التلاؤم بين العلم والعمل وعدم الاقتصار على التعليم اللفظي بل الاهتمام بالتطبيق العملي.

فهذا الأصل يحمل أهميتين تربوية وتعليمية. فأهميته التربوية تكمن في أنّ الطلبة ليست لديهم أية رغبة في علم لا يساعدهم على تنمية مهاراتهم المهنية، لذلك يجب الحذر منه والابتعاد عنه (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ص ٣٠٠)، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((كلّ علم وبال على صاحبه إلا من عمل به)) (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج ٢، ص٣٨). أما أهميته العلمية فتكمن في أن تطبيق التعاليم يؤثر تأثيراً بالغا في التعلم وتذكر المعلومات والمهارات والخبرات التي مرّ بها الفرد. فتطبيق التعاليم علاوة على تذكر المعلومات السابقة التي قد أنساها المتعلم، يعتبر نوعاً من التعلم أو التعليم التطبيقي. من ثمّ، للاهتمام بالتطبيق العملي دور مميز في تعميق التعلم وتذكر المعلومات (داوودي وحسيني زاده، ١٣٨٩ هـ.ش، ص٣٠١)، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((العلم مقرون إلى العمل فمن علمَ عَمِل والعلمُ يهتفُ بالعمل، فإن إجابه وإلا ارتحل)) (مجلسي، ١٤٠٣ هـ.ق، ج٢، ص٤٠).

٢-٨- توظيف لغة الحثّ

فتوظيف لغة الحثّ كان من المناهج المهمة للإمام عليه السلام في نظامه التعليمي. فكان يتوسل الإمام عليه السلام بهذا المنهج التعليمي ليؤثّر تأثيرا كثيرا في تلاميذه ويشجّعهم على تلقّي المعارف والحقائق أكثر من قبل، ومرجع ذلك أنّ التلميذ حين يشعر برغبة شديدة في تعلم شيءٍ ما، يتلهّف على تعلمه ليلا ونهارا. فلذلك نرى أن الإمام الصادق عليه السلام في بدء مناظراته كان يسعى كل السعي في إيجاد الرغبة والشوق عند تلاميذه نحوَ طلب العلم ثم كان يبدأ بتقديم تعاليمه ومبادئه. فكان الإمام عليه السلام يستخدم العبارات والجمل التحريضية ليشجّع تلاميذه على التأمل والتدبر ويدعوهم إلى الكشف عن الحقيقة (جماعة من المؤلفين، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٢٩٦ - ٢٩٥).

ناهيك أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يحاول أن يطرح أسئلة تأملية محفزة في مناظراته ومحادثاته ليذكّر مخاطبه بغفلته وجهله ويهديه إلى طريق الحقيقة. فمثلا سأل الإمام عليه السلام عن أحد الزنادقة في إحدى مناظراته: ((أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟ قال: نعم، قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا، قال: فهل تدري ما تحتها؟ قال: لا أدري، إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فالظن عجز فلم لا تستيقن، ثم أردف قائلا: أفصعدت إلى السماء؟ قال: لا، قال: أفتدري ما فيها؟ قال لا. قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟

قال: لا)) (الطبرسي، ١٤١٦ هـ.ق، ج ٢، ص ٢٠٥). ثم قال الإمام عليه السلام متابعا: ((فالعجب لك، لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن، وأنت جاحد بما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!)) (المصدر نفسه).

فطرح أسئلة تأملية هكذا كان يساعد المخاطب أو المتعلم على التنبه والرغبة في التأمل والتدقيق في آرائه وأفكاره، فلربما أن هذا العمل كان مقدمة لنيل الحقيقة.

٢-٩- المناهج الخاصة في تربية التلاميذ

حين نقوم بالتدقيق في النظام التعليمي للمدرسة العلمية للإمام الصادق عليه السلام ندرك أن الإمام عليه السلام كان يتخذ مناهج خاصة لتربية تلاميذه ومن أهمها ما يلي:

أ- تشجيع التلاميذ المتفوقين وتكريمهم

فكان الإمام الصادق عليه السلام يعامل تلاميذه المتفوقين بكل احترام وتقدير. يقول أبان بن محمد في هذا الصدد: ((دخلت مع أبي إلى أبي عبد الله عليه السلام، فلما بصر به أمر بوسادة فألقيت له و صافحه و اعتنقه و ساءله و رحب به)) (النجاشي، ١٣٦٥ هـ.ش، ص١١).

ب - تقدير المحاولات العلمية للتلاميذ

فقد كان تلاميذ الإمام عليه السلام يهتمون بالمحافظة على آثار أهل البيت وإنجازاتهم، غير أن بعضهم لعبوا دورا مهما في هذا المجال مما دفع الإمام الصادق عليه السلام إلى أن يقدر محاولاتهم الصادقة (حسيني وقدسي، ١٣٩٥ هـ.ش، ص ١٠٧). فيقول مثلا الإمام عليه السلام عن زرارة: ((رحم اللّه زرارة لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام)) (الطوسي، ١٣٤٨هـ.ش، ج ٥، ص ١٣٧).

وعلى امتداد تقدير المحاولات العلمية للتلاميذ، كان الإمام الصادق عليه السلام يسمح لتلاميذه أن يقوموا بإجابة الأسئلة المطروحة من جانب الناس، وهذا ما نراه بوضوح في سيرة الإمام عليه السلام العملية. فمثلا قال الإمام الصادق عليه السلام للفيض بن مختار: ((إذا طلبت حديثاً لنا فخذه عن هذا الجالس، وأشار إلى زرارة)) (القمي، ١٤١٤ هـ.ق، ج ٣، ص٢٢٣).

ج ـ السماح للتلاميذ بالتكلم

فكان الإمام الصادق عليه السلام يسمح لتلاميذه أن يتكلموا في الأوساط العلمية وأن يبدوا عن آرائهم وأفكارهم. ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يلعب دورا بارزا في التعليم تربويا. فقد روي أن ((أن أصحاب الصادق عليه السلام كانوا يناظرون عنده وحمدان ساكت، فقال له عليه السلام: لماذا أنت ساكت لا تتكلم؟ قال: أقسمت أن لا أتكلم في مجلس أنت فيه. قال: قد أذنت لك بالكلام، فتكلم)) (المصدر نفسه، ص ٢٢١).

د ـ الأنس بالتلاميذ

والمراد بالأنس بالتلاميذ هو التزاور والحضور في مجالسهم ومحافلهم. بعبارة أخرى، كان الإمام الصادق عليه السلام يحّب زيارة تلاميذه كثيرا، حيث كان يضيق صدره ويشتاق إليهم حين ما كان يراهم لمدة قليلة (حسيني وقدسي، ١٣٩٥ هـ.ش، ص ١٠٦). وروي ((أن الصادق عليه السلام دعا أبا حمزة يوماً فلما أتاه قال: إني لأستريح إذا رأيتك)) (القمي، ١٤١٤ هـ.ق، ج ٢، ص ٢١٩). وروى الكليني عن ((عن عقبة بن خالد، قال: دخلت أنا والمعلى وعثمان بن عمران على أبي عبد الله عليه السلام فلما رآنا قال: مرحبا مرحبا بكم وجوه تحبنا ونحبها جعلكم الله معنا في الدنيا والآخرة)) (المصدر نفسه، ص ٢٣٣).

الخاتمة:ـ

لقد استطاع الإمام الصادق عليه السلام بتخطيط وبناء نظام تعليمي منسجم، أن يقدّم قدوة فريدة في المجال التعليمي وأن يلعب دورا بنّاء في حيوية الحضارة الإسلامية وأن يربّي جماً غفيراً من المتخصصين والخبراء. ومن أهم سمات هذا النظام التعليمي يمكن أن نشير إلى ما يلي:

- التركيز على البحث: كان الإمام الصادق عليه السلام يهتمّ بتربية التلاميذ الراغبين في العلم اهتماماً بالغاً وكان يشجّعهم دوماً على التعلم لتنمية نفسيتهم وميلهم إلى العلم؛
- التقييم: فكان الإمام الصادق عليه السلام يحرص على التقييم العلمي للتلاميذ إما في حين التعليم وإما بعده؛
- التلاؤم بين الفحوى التعليمي وظروف المتعلم: كان يحاول الإمام عليه السلام كل المحاولة رعاية التناسب بين الفحوى التعليمي وظروف التلاميذ وإمكاناتهم وقدراتهم.

- الاهتمام بتربية المتخصصين والخبراء: فكان يعنى الإمام عليه السلام بتربية التلاميذ الراغبين في العلم عناية فائقة وكان يشجعهم لتحريضهم على العلم؛
- تجسيد التعاليم: فكان الإمام عليه السلام يسعى أن يجعل تعاليمه وخاصة تعاليمه النظرية والذهنية محسوسة وملموسة لتلاميذه؛
- الشمولية القومية والدينية: كانت تتصف المدرسة العلمية للإمام عليه السلام بالشمولية، حيث كان يقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم بغضّ النظر عن جنسيتهم ولغتهم وآرائهم وأفكارهم؛
- الاهتمام بالتطبيق العملي: فكان الإمام عليه السلام يحرص على التلازم بين العلم والعمل وعدم الاقتصار على التعليم اللفظي بل الاهتمام بالتطبيق العملي؛
- توظيف لغة الحثّ: فكان يوظّف الإمام عليه السلام هذه اللغة ليشجع تلاميذه على التعلم وتلقي التعاليم بكل شوق ورغبة؛
- المناهج الخاصة في تربية التلاميذ: فكان الإمام عليه السلام يقوم بتقدير المحاولات العلمية للتلاميذ وكان يأنس بهم كما كان يشجّعهم على التعلم وكان يسمح لهم بالتكلم في المحافل والأوساط العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

- جابر بن حيان، (١٤٢٧ هـ.ق)، رسائل، بيروت: دار الكتب العلمية.
- جان أحمدي، فاطمة؛ و مهدي نيك آفرين، (١٣٩١ هـ.ش)، ويژگی‌ها و شاخصه‌های نظام آموزشی امام صادق عليه السلام، مجله پژوهشهای تاريخی، ش ١٠.
- جمعی از نويسندگان (جماعة من المؤلفين)، (١٣٩١ هـ.ش)، معانی و روش انديشه علمی امام صادق عليه السلام ، اهتمام: احمد پاكتچی، تهران: دانشگاه امام صادق.
- حسينی، سيد علی؛ وأبو الفضل قدسی، (١٣٩٥ هـ.ش)، روشهای تربيتی امام صادق عليه السلام در شاگردپروری، مجله بلاغ مبين، ش ٤٩ و ٤٨.

- داوودى، محمد؛ سيد على حسين زاده، (١٣٨٩ هـ.ش)، سيره تربيتى پيامبر صلى الله عليه وآله واهل بيت، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.
- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، (١٤١٦ هـ.ق)، الاحتجاج، طهران: دار الأسوة.
- الطوسي، محمد بن حسن، (١٣٦٥ هـ.ش)، تهذيب الأحكام، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- ــــــــــــــــــــــــ، (١٣٩٠ هـ.ق)، استبصار، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- ــــــــــــــــــــــــ، (١٣٤٨ هـ.ش)، اختيار معرفة الرجال لمعروف برجال الكشي، تصحيح: محمد حسن مصطفوي، مشهد: دانشگاه مشهد.
- العروس الحويزي، عبد علي بن جمعة، (١٣٧٠ هـ.ش)، تفسير نور الثقلين، قم: إسماعيليان.
- القمي، الشيخ عباس، (١٤١٤ هـ.ق)، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، تعريب: نادر التقي، بيروت: الدار الإسلامية.
- كليني، محمد بن يعقوب، (بلا تا)، اصول كافى، ترجمه و شرح: جواد مصطفوى، تهران: دفتر نشر فرهنگ اهل بيت.
- مجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣ هـ.ق)، بحار الأنوار، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النجاشي، أحمد بن علي، (١٣٦٥ هـ.ش)، رجال النجاشي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ورام، الزاهد أبو الحسين، (١٣٦٨ هـ.ش)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، طهران: دار الكتب العلمية.